شيرين علي
باحثة تربوية

نقاء الطفولة في رمضان

يا رب! من أجل الطفولة وحدها
افض بركات السلم شرقا ومغربا
وصن ضحكة الأطفال يا رب إنها
إذا غردت في موحش الرمل أعشبا

غراس الحياة، وقطوف الأمل، وقرة عين الإنسان، وزهور الأمة، وبراعم الغد المشرق.. تذكار الصبا، ووديعة الله المقدسة، وهدية السماء..

يقول الله عز وجل: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (الكهف: ٤٦)، وفي الحديث الشريف يقول رسول الله ﷺ: (أكرموا أولادكم، وأحسنوا أدبهم).

وفي التراث العربي: نجد قول الشاعر حطان بن المعلى يقول:

وإنما أولادنا بيننا أكبا
دنا تمشي على الأرض
لو هبت الريح على بعضهم
لامتنعت عيني عن الغمض

الطفولة من أجمل مراحل الحياة وأعذبها؛ حيث يكون الطفل في منتهى البراءة والصفاء.. والأطفال هم الضحكة البريئة والقلب الصافي؛ حيث لا أحقاد ولا تفكير ولا حساب إلا لليوم الذي يعيشه الطفل.

الطفولة هي ربيع الحياة وبراعمه المتفتحة التي تملأ الدنيا أزهارا زكية عطرة، وهي الأحلام والأمل، وهي قطرات الندى فوق الورود الجميلة في صباحات الحياة المشرقة.

ما أجمل الطفولة! نجد في ابتسامتهم البساطة، لا يحقدون

ولا يحسدون، وإن أصابهم مكروه لا يتذمرون.. يعيشون اليوم بيومه: بل الساعة بساعتها. أحاسيسهم مرهفة، وأحاديثهم مشوقة، وتعاملاتهم محبة.

الطفولة صفحة بيضاء، وحياة صفاء، ثغر باسم وقلب نقي.

الطفولة عالم مخملي، شجرة نقاء وارفة الظلال، وأغصان عفوية تحمل ثمار القبول.

الطفولة قصة حلم، وقصيدة أمل، وخاطرة عذوبة.

الطفولة حياة الروح، وروح الحياة.

وبالوقوف عند الصيام وأهميته في حياة الأطفال نقول: يؤدي الصيام دورا كبيرا في تنشئة الطفل نفسيا واجتماعيا، ويتمثل هذا الدور في النقاط الآتية:

- تهذيب نفس الطفل واستقامة سلوكه، وتطهير النفس وتزكيتها من الأدران، وتجديد العودة والإقبال على لله.
- تقوية إرادة الأطفال وتنشئتهم على إدراك أن للصوم ثلاثة أبعاد تتعلق بالروح والعقل والجسد، وأن لكل بعد من هذه الأبعاد رياضات تناسبه، وأن الصوم هو أعظم رياضات الروح، إلى جانب ما للصوم من فوائد مهمة في تقوية إرادة الأطفال وتنمية قدرتها على التحمل ومواجهة المشكلات.
- إكساب الطفل الثقة في النفس ونجاحه في خوض التجربة المتميزة.
- الإحساس بمشاعر الآخرين: ذلك أن الصوم مدرسة إسلامية عظيمة تربي الإنسان بكل مكوناته ومقوماته النفسية والجسمية والروحية والخلقية والاجتماعية.
- يعود الطفل الصبر: الصبر على الطاعة، والصبر على ترك المعصية، والصبر على أقدار لله، وقد أشار المصطفى ﷺ إلى هذا الأثر للصيام بقوله عن رمضان: (... وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة).
- يعود الصوم الطفل على التقوى وضبط النفس عبر إشعاره بمسؤولياته عن نفسه وتحمل المتاعب عن طواعية واختيار.

❖ ويترتب على تدريب الطفل على الصيام جعله يعيش معاني التكافل واقعا عمليا، مثل: مساعدة الفقير والمحتاج. ويترتب على صيام الطفل تدريبه على مفهوم المساواة عمليا، فمن حكم الصوم: المساواة بين الأغنياء والفقراء؛ والصوم يؤدي إلى إشعار النفس الإنسانية بطريقة عملية أن الأخوة الصحيحة والمحبة الصادقة تتمثل بالشعور في التساوي، والصوم من العبادات التي تقوي صلة الطفل بربه، وتعده للحياة الأفضل.

والمربي وحده هو الذي يستطيع أن يصحح العادات السيئة التي ترسخت عبر الأجيال، فحولته من موسم ذكر وصلوات إلى موسم غفلة وشهوات، وإهدار للأوقات أمام الشاشات التي نذرت نفسها ورصدت أموالها لتشويه موسم العبادة العظيم.. وللأسرة دور كبير في تعويد الطفل على الصيام في سن مبكرة، وأهم دور تقوم به العائلة:

١- القدوة والأسوة الحسنة: فإن كان الأبوان يحيان هذا الشهر ويصومانه طاعة وايمانا واحتسابا وليس عادة؛ فإن الأبناء يقتدون بهم.

٢- التشجيع المستمر للأطفال، والثناء عليهم أمام الأقارب والأصدقاء.

٣ - الحرص على وجبة السحور؛ مما يعين الطفل على الصيام وعدم الشعور بالجوع، وعلى الوالد والوالدة التذكير بفضل السحور؛ حيث حض رسول الله ﷺ على السحور فقال: (تسحروا؛ فإن في السحور بركة). رواه البخاري ومسلم.

٤- الدعاء المستمر للأبناء وللذرية بالصلاح والفلاح في أمور الدين، وأفضل الدعاء في هذا المقام: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾.